

البلد الذي يخلب اللب

الكاتب



حسن مدن

الحديث لن يكون عن بلدٍ بعينه، فلكل امرئٍ بلدٍ يخلب لبه. قد يكون هذا البلد هو الوطن نفسه الذي فيه ولدنا ونشأنا، وقد يكون بلداً عشنا فيه فترة من عمرنا، أو بلداً أحببناه فبات مقصداً لنا بين الحين والحين، لأننا فيه نجد ما نحب أو من نحب. ولو كنتُ من منظمي المسابقات الأدبية لاقتربت مسابقة يكتب المشاركون فيها عن «البلد الذي يخلب لبهم»، بحيث تعطى الجائزة، أو الجوائز، فيها لمن كانت كتابته أجمل.

وأحسب أنه قد حضرت في بال كل واحد منكم الآن صورة البلد الذي له في قلوبكم ونفوسكم موقع، فأطلقوا لعنانكم المخيلة، ولا بأس لو كتبتم شيئاً من ذلك أو عنه.

كي لا نستطرد في هذا أكثر مما هو ضروري عليّ القول: إن عنوان المقال والتالي من الكلام مستوحى من عبارة قالها الأديب الكبير يوسف إدريس في واحدٍ من مقالاته التي كان ينشرها في الصحف المصرية، ثم جمعت، أو جمع الكثير منها في كتب أصدرتها الهيئة العامة للكتاب، والمقال الذي نحن بصدده حواه كتاب لإدريس اسمه «مدينة الملائكة».

لا علاقة للمقال بأدب الرحلات، وإنما هو إلى السياسة والعلاقات الدولية أقرب، لأن إدريس اختار فيه الحديث عما وصفه بـ«عصر آسيا»، والمقال كتب قبل عقود من الآن، يوم لم تكن الصين قد بلغت ما بلغته من قوة ونفوذ وتأثير، بحيث باتت تشرق الغرب المتقدم وقوته الأكبر: الولايات المتحدة الأمريكية.

ولأن الحديث عن آسيا، فإن الكاتب استهله بالإشارة إلى البلدان التي خلبت لبه، فاختار من كل بلد ميزة منحتها هذا الامتياز، فقال: إن الهند خلبت لبه في الحضارة والشعب، وفي البطولات خلبت فيتنام لبه، وفي الترفيه والمرح تايلاند وهونج كونج، وفي «الطموح المخيف» اليابان، فلكل بلد من هذه البلدان نموذجها، حتى لتحسب أن الحقيقة الكبرى باتت هناك.

حين قال إدريس هذا الكلام كان العالم منقسماً إلى معسكرين على خصومة أيديولوجية حادة، لكنه توقع أن الأمر لن يكون كذلك في المستقبل، وعلى سبيل تقريب الفكرة أوضح أن آسيا الشمالية، ممثلة في اليابان خاصة، وآسيا

الاشتراكية، ممثلة في الصين خاصة، بدأت في العودة إلى الوطنية بعد أن استنزفتنا ما استطاعتنا استنزافه من رأس المال الأمريكي.

«آسيا الجديدة» التي رأى إدريس أن عصرها بات قادماً، أخذت من الغرب كل علمه وأسراره الرأسمالية، ومن الشرق كل خلاصة تجاربه الاشتراكية، وسيصبح للقارة وجود لم يكن لها سابقاً، وستصل إلى آفاق لا يمكن لأحد أن يتصورها

madanbahrain@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.